

اسم المادة: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

من سلسلة: آيات تتلى

لفضيلة الشيخ: عمرو الشرقاوي

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
من سلسلة: آيات تتلى
لفضيلة الشيخ: عمرو الشرقاوي
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-188419.htm



الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على إمام الأتقياء وسيد المرسلين نبينا محمدٍ –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين–، اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

يقول الله –سبحانه وتعالى–: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" السجدة٤:٩.

هذه الآية "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" تمثل المقطع الثاني من سورة السجدة، سورة السجدة افتتحها الله –عز وجل– بإثبات أن هذا القرآن من عند الله –سبحانه وتعالى–، وأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون مفترى من دون الله –سبحانه وتعالى–، والمقصود الأعظم من إنزال القرآن؛ التوحيد، أعظم مقصود أنزل الله الكتب وأرسل الرسل –سبحانه وتعالى–، وجعل الجنة والنار؛ لأجل أن تحقق هذه الغاية، قال الله –تعالى–: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" الذاريات٥٦:٥٨، فإنزال الكتب وإرسال الرسل لأجل هذا المقصد العظيم؛ مقصد التوحيد، فلذلك ربنا –سبحانه وتعالى– انتقل الحديث في سورة السجدة من الحديث عن القرآن إلى الحديث عن أعظم مقصود يريد القرآن أن يحققه في العبد؛ ألا وهو توحيد الرب –سبحانه وتعالى–.

قال الله –عز وجل–: "الله"، "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" فجاء هنا باسم الجلالة، جاء هنا باسم الجلالة ولم يقل هو الذي خلق السموات والأرض وإنما قال: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" استخدام الاسم في القرآن، استخدام اللفظ أصلًا في القرآن الكريم لا يأتي عبثًا، يعني القرآن الكريم مش فيه لفظ كدا ممكن نشيله ونحط لفظ تاني لأ، كما قال الإمام ابن عطية –رحمه الله–: "وكتاب الله –عز وجل–؛ لو نُزِعت منه لفظة، ثم أُدِير لسان العرب على أن يُؤتى بمثل هذه اللفظة لا يمكن بحال" لا يمكن أبدًا لو احنا شيلنا لفظة كدا وحبينا نحط كلمة مكانها ده مستحيل، فلذلك كل كلمة في القرآن الكريم هي موضوعة من لدن حكيم عليم –سبحانه وتعالى–، فلذلك استخدام الاسم هنا له غرض، له حكمة.



ربنا –سبحانه وتعالى–يقول: "اللهُ" فجاء باسم الجلالة؛ لإحضاره في الأذهان باسمه المختص به، يعني نحن نتحدث عن الله، وقال "الله" ولم يقل الرب لماذا؟ ليقطع دابر الشرك وأهل الشرك؛ لأن المشركين ماكنش عندهم مشكلة في الربوبية، همَّ كانوا يعتقدن أن الله –عز وجل– هو الخالق المدبر كذا، لكن كان عندهم مشكلة في إفراد الله بالألوهية، فلذلك ربنا –سبحانه وتعالى–، آه صحيح ده بيعود على الربوبية بالخلل، لكن ربنا –سبحانه وتعالى–يقول: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ"، كما قال الله –تعالى–: "قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ" يومين ويومين كمان بقوا أربعة أيام سواءً للسائلين "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ" فصلت٩:١٣، فربنا –سبحانه وتعالى– خلق الأرض في يومين، وقدَّر فيها أقواتها في يومين، وخلق السماوات في يومين.

فربنا يقول –سبحانه وتعالى–: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" استواءً يليق بجلاله وعظمته –سبحانه وتعالى–، لا نكيّف ولا نمثّل ولا نحرِّف ولا نُعطِّل ربنا –سبحانه وتعالى– عن صفاته –جل جلاله– وتقدست أسماؤه، عَلا عليه وارتفع كما شاء –سبحانه وتعالى–، وبالكيفية التي شاء –سبحانه وتعالى– التي لا نعلم عنها شيئًا.

"ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ": الولي مشتق من الولاء؛ بمعنى النصرة والتأييد، فربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ"، هذا الولي فيه معنى القرابة، والعهد، والنُصرة، والدفاع عن المولى.

ومقصود الرب –سبحانه وتعالى– هنا نفي المشارك له في الألوهية "مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ"، لذلك ربنا –سبحانه وتعالى–يقول: "قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ" سبأ:٢٢، يعني ربنا –سبحانه وتعالى– نفى أن يكون لهم ذرة، طب ممكن يكون مشارك؟ لأ، طب ممكن يكون شفيع؟ لأ برضه "وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ" طب ممكن يكون مساعد؟ لأ برضه، طب ممكن يكون شفيع؟ لأ برضه، لا يملكون الشفاعة "إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا" طه:١٠٩، فربنا –سبحانه وتعالى– ينفي كل ما يمكن أن يوحي إلى الإنسان أن الله –عز وجل– يحتاج إلى خلقه –سبحانه وبحمده– "وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا" الإسراء:١١١، الله أكبر –سبحانه وتعالى–.

فربنا –سبحانه وتعالى–يقول: "مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ"؛ شفيع يعني وسيط، المشركين زعموا قالوا: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ" الزمر:٣، فربنا –سبحانه وتعالى–قال لهم: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ" الإسراء:٥٧.

يقول الله –تبارك وتعالى–: "مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ"؛ وهذا الاستفهام يقول العلماء أن هو استفهام إنكاري، يعني يقول لهم أفلا يحصل لكم التذكر، والتفكر، والنظر كيف أن الله "الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ"؟، طبعًا ربنا –سبحانه وتعالى–لا يحتاج إلى هذه الأيام وإنما هذا مما أجراه الله –عز وجل– بالأسباب، لمَّا أجرى الله –عز وجل– العالم على الأسباب؛ فلذلك ربنا أخبرنا أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وإلا فهو –سبحانه وتعالى– إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، إذا أراد شيئًا فإنما





يقول له كن فيكون "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" يس:٨٢، فربنا –سبحانه وتعالى– "الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ما لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ" لا يمكن "مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ" أن هذا الرب هو المستحق للعبادة، هو المستحق للسجود، هو المستحق لكمال الخضوع، هو المستحق لأن نخضع له وحده لا شريك له –سبحانه وتعالى–.

ثم قال الله –تعالى–: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ"، "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ" الأمر: هو الشأن للأشياء، ونظام هذه الأشياء، وما تقوم به هذه الأشياء، ولاحظوا أن الله –تعالى– يقول: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ" هذه (أل) التعريف تفيد الاستغراق للأمور كلها، فربنا –سبحانه وتعالى– يقول أنه يدبر كل أمر، ولذلك قال الله –تعالى– في سورة الرحمن –جل وعلا–: "يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ" الرحمن:٢٩، كل يوم هو في شأن؛ يغفر ذنبا، ويفرج كربا –سبحانه وتعالى–، الله –عز وجل– بيده مقاليد كل شيء –سبحانه وتعالى–، ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– يقول لك اطمئن واسجد لله، اخضع لله وحده لا شريك له؛ لأن كل شيء بيد الله –سبحانه وتعالى–، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– لابن عمه ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما– هذا الغلام الصغير يوصيه النبي –صلى الله عليه وسلم– وصية تبقى معه إلى نهاية الزمان، تبقى في هذه الأمة إلى نهاية الزمان يقول له: "إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ" ينفعك الله بهن: "احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ" شوف سبحان الله كيف أنه يعظم له مقام العبودية؛ لأن هذا المقام مقام رفيع ألا يشهد العبد في الكون أحدًا يدبر الأمر إلا الله –سبحانه وتعالى–، لا يستطيع أحد أن يضر ولا أن ينفع إلا الله –سبحانه وتعالى–، بيده مقاليد كل شيء، "إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ" هذا المقام مقام الشهود؛ شهود عظمة الرب وشهود تصرف الرب –سبحانه وتعالى–في المخلوقات.

"إذا سأَلتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم ينفَعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ"[١] صحيح الترمذي، وفي رواية من روايات هذا الحديث: "تعرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يعرِفُك في الشدَّة".

فربنا –سبحانه وتعالى–يقول: "يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ" هذا الأمر الذي يدبره الله –سبحانه وتعالى–عن طريق الملائكة، "ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" يعني ربنا –سبحانه وتعالى–يدبر الأمر والشأن، كل أمر يدبره الله –سبحانه وتعالى–، لو أراد أحد أن يدبر مثل هذا الأمر لكان حصول مثله في ألف سنة، ومع ذلك الله –سبحانه وتعالى– لا يحتاج إلى هذه السنوات التي تقضونها في تدبير الأمور، وإنما ربنا –سبحانه وتعالى– ينبه بهذه الآية على سعة القدرة، وعلى عظيم قدرته، وعلى سَعة ملكه –سبحانه وتعالى–، على ملكوت الله وتدبير الله –سبحانه وتعالى–.

"يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ" هذا الأمر "فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ" لو أردتم أن تفعلوا مثله "أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" وهذا ليس المراد منه الألف سنة بمعنى الألف سنة وإنما المراد بيه التنبيه على عظمة الرب –سبحانه وتعالى–، وعلى قدرته –سبحانه وتعالى–، وعلى تصرفه في الكون –سبحانه وبحمده–.

[١] صحيح الترمذي



"ذَٰلِكَ" الله، ما هو ذلك دي اسم الإشارة عائد على اسم الجلالة، "ذَٰلِكَ" الله، اللي هو سبق "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ".

"ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" اختص بأمور يعلمها –سبحانه وتعالى– لا يعلمها إلا الله، وهو مع ذلك عالم للشهادة أي المدركات بالحواس، فربنا –سبحانه وتعالى– جمع علمه كل شيء سواء كانت هذه الأشياء غائبة لا يعلمها الإنسان أو هذه الأشياء مشهودة يعلمها الإنسان، فإذا كان الله –عز وجل– هو العالم لكل شيء، وهو المدبر لكل شيء، وهو الخالق لكل شيء –سبحانه وتعالى– أفلا يستحق من الإنسان أن يعبده وحده لا شريك له؟ أن يخاف منه، أن يسجد له؟ وهذا ارتباط هذه الآيات بالسجدة بمعنى السجود، واحنا قلنا إن السجود حال مش السجود هيئة تركيبية للإنسان لأ ده حال خضوع؛ خضوع من الإنسان لله –سبحانه وتعالى–.

فيقول –سبحانه وتعالى–: "ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"، "الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" والعادة سبحان الله في القرآن الكريم إن ربنا –سبحانه وتعالى– يختم مثل هذه الآيات بالعزيز الحكيم، لكنه هنا يقول: "ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"، الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ؛ العزيز مفهوم إنه من عزته واستغنائه عن غيره –سبحانه وتعالى– هذا ظاهر، أن الله –عز وجل– استغنى عن كل أحد في خلق هذه المخلوقات، وفي تدبير شئونها، هذه الملائكة التي ربنا –سبحانه وتعالى– جعل لها أعمالًا، الله –عز وجل– لا يحتاج إلى هذه الملائكة إنما هذا يجرى بأسباب فقط يعني هذه الأسباب التي جعلها الله –سبحانه وتعالى–، فربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" فينبه أن خلق هذه المخلوقات لا ينفك عن رحمة الله –سبحانه وتعالى–، لا ينفك عن لطف الله حتى لو لم يظهر هذا اللطف للإنسان، حتى لو لم يعلم الإنسان هذا اللطف، شوف سيدنا يوسف –عليه الصلاة والسلام– أحداث عظيمة مرت بيوسف –عليه الصلاة والسلام–؛ أُخرج من حضن أبيه، أُودِع في البئر، طلع من البئر صار عبدًا، حصلت له مشكلة عند امرأة العزيز، دخل السجن، طلع من السجن، مَلَك خزائن مصر، إخواته جُم اتهموه مرة تانية قالوا: "إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ" يوسف:٧٧ راحوا وبعدين أتوا، لما عرفوا إن هو سيدنا يوسف أتوا بأبيه وأمه "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا"، سيدنا يوسف يختم الحياة المليئة بالأحداث دي يقول: "وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" شوف الأحداث دي كلها وهذا من لطائف التعبير؛ لأن إخواته موجودين فلم يقل وقد أحسن بي إذ أخرجني من الجب؛ لأن هما اللي حطوه، فذكر السجن مع إن الجب كان أهول، فقال: "وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي" ختم ده كله بإيه؟ باستحضار مشاهد اللطف إن كل ده حصل لكنه لا ينفك عن لطف الله "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" يوسف:١٠٠،

فربنا يقول إن خلق المخلوقات لا ينفك عن لطفه، ولا ينفك عن رحمته –سبحانه وتعالى–، ولذلك قال: "ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" –سبحانه وبحمده– "أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ"، "مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ" الملك:٣.

"الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان" الإنسان اللي هو آدم "وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ" والإحسان هو جعل الشيء محمودًا غير معيب، ولذلك العيب يظهر للإنسان من قصوره، قصوره عن إدراك الحكمة، وعن إدراك حكمة الرب –سبحانه وتعالى– وإلا فهو أحسن كل شيء خلقه.

"وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان" اللي هو آدم –عليه الصلاة والسلام– من طين "ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ" جعل نسله يعني أبناء آدم –عليه الصلاة والسلام – وذرية آدم –عليه الصلاة والسلام–، وهذا سُمي نسلًا؛ لأنه ينسل يعني ينفصل، مأخوذ من نسل الصوف والوبر إذا يعني أزيل عن جلد الحيوان وهذا مستخدم، هذا مستخدم في بعض العامية إن هما يقولون التوب نَسّل، نَسّل يعني الخيط بدأ ينفصل



عنه، فربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ" –سبحانه وتعالى– "وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان" اللي هو آدم –عليه الصلاة والسلام– "مِن طِينٍ" فربنا يذكِّر الإنسان وهذا أيضًا ارتباطه بالسجود، يذكِّر الإنسان إن ربنا –سبحانه وتعالى– أسجد لأبيك الملائكة وأبى الشيطان أن يسجد له، أبى الشيطان أن يسجد له فيذكِّر الإنسان أيضًا بالسجود الأول، السجود الأول لآدم –عليه الصلاة والسلام– "فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ" الحجر ٢٩-٣١.

فربنا يقول –سبحانه وتعالى–: "الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ" وهذا الطين لابد أن يسجد للرب العلي –سبحانه وتعالى–، وهذا مقام تشريف من الله –سبحانه وتعالى–، إنك تسجد لله هذا شرف ربنا –سبحانه وتعالى– يضعك فيه.
"الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ" يعني ذريته وأبناءه "مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ" والمهين: هو الممتهن؛ يعني لا يُعبأ به. "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ" هذه النفخة من الروح من الرب –سبحانه وتعالى– "وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ" هذه إضافة تشريف، زي ناقة الله –سبحانه وتعالى–، ناقة الله وروح الله يعني روح من الأرواح التي خلقها، هذه الروح مخلوقة، فربنا –سبحانه وتعالى– أضافها إلى نفسه تشريفًا؛ لأن الأشباح لا قيمة لها إلا بالأرواح، طب السجود والخضوع يُطلب من الروح، يُطلب من الأرواح، الجسد هو معبِّر عن الروح، معبر عن المعنى الذي قام بروح الإنسان، ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– يقول: "ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" يعني هذه القوى التي ركبها الله –عز وجل– في الإنسان؛ قوة السمع وقوة البصر وقوة القلب "وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ" يعني ربنا –سبحانه وتعالى– ينبِّه إن السعيد هو الذي يستعمل هذه القوى في طاعة الله –سبحانه وتعالى–، والشقي هو الذي يستعمل هذه القوى في غير طاعة الرب –سبحانه وتعالى–.

هذا المقطع من سورة السجدة ربنا –سبحانه وتعالى– ينبِّه فيه على الغاية من الخلق، هو أنزل الكتاب –سبحانه وتعالى– ليه؟ لكي يرشدنا ربنا –سبحانه وتعالى– إلى أن نعبده وحده لا شريك له، أن نفرده –سبحانه وتعالى– بالعبادة، طب إذا أردت أن تفرد الرب –سبحانه وتعالى– بالعبادة فلابد أن تعلم أصلك؛ لكيلا تتكبر، ولذلك سيأتي في الآية المحورية إن من صفات الساجدين "وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" ليه لا يستكبرون؟ هذا هو حالهم "إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" السجدة: ١٥، لا يستكبرون؛ لأنهم يعلمون أصلهم، يعلمون من الذي خلقهم، يعلمون من الذي أوجدهم، يعلمون لماذا أُوجِدوا، هذا الله –عز وجل– سبحانه وتعالى– "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ"، وخلق الإنسان كي يُعبَد –سبحانه وتعالى–، كي يُفرد –سبحانه وبحمده– بالعبادة، لكي لا يبتعد العباد عن منهجه وعن شريعته، ولذلك ربنا –سبحانه وتعالى– يأتي بعد هذه الآيات ليذكّر الإنسان بمصيره، الله أكبر انظروا إلى هذا الترتيب العجيب، ربنا –سبحانه وتعالى– يذكِّرنا بنعمته علينا بإنزال الكتاب، ويخبرنا أن هذا الكتاب هو طريق الهدى، ثم يخبرنا –سبحانه وتعالى– بخلق السموات والأرض وما بينهما؛ لأن هذه المخلوقات أعظم من الإنسان، خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، ومع ذلك هذا الذي خلق السماوات والأرض سخرها للإنسان الذي هو من سلالة من ماء مهين –سبحانه وتعالى–.

بعد ذلك ربنا –سبحانه وتعالى– ينبه الإنسان على حقيقة مهمة جدًا، هذه الحقيقة؛ هي حقيقة المصير، لكي يصل إلى الآية المحورية، الآية المحورية اللي هي آية السجود، آية صفات الساجدين، صفات الذين: "تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ



يُنفِقُونَ" السجدة: ١٦، هذه من أعظم صفاتهم وهم لا يستكبرون، ليه؟ لأنهم علموا عظمة الرب الخالق للسماوات والأرض، وعلموا أنهم خلقوا من ماء مهين، وعلموا المصير الذي يصيرون إليه؛ ولذلك ربنا -سبحانه وتعالى- يقول بعدها: "وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ" السجدة: ١٠:١١، هذا ما سنقف إن شاء الله -تعالى- عليه في الحلقة القادمة.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعرفنا بأنفسنا، وأن يجعلنا له خاضعين عابدين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.